سورة يونس

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ يونس(106)

.....

معاني الكلمات :

{وَلا تَـدْعُ مِـنْ دُونِ اللَّهِ مَـا لا يَنْفَعُـكَ وَلا يَضُـرُّكَ} وهـذا وصـف لكـل مخلـوق، أنـه لا ينفـع ولا يضـر، وإنمـا النـافع الضار، هو الله تعالى.

{فَـإِنْ فَعَلْـتَ} بـأن دعـوت مـن دون الله، مـا لا ينفعـك ولا يضرك

{فَإِنَّـكَ إِذًا مِـنَ الظَّـالِمِينَ} أي: الضـارين أنفسـهم بإهلاكهـا، وهـذا الظلـم هـو الشـرك كمـا قـال تعـالى: {إِنَّ الشِّـرْكَ لَظُلْـمٌ عَظِيمٌ} فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟!!

المعنى الإجمالي :

نهى الله تعالى بصريح القول أن يدعو من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره وهو كل المعبودات ما سوى الله عز وجل فقال: {ولا تدع من دون ما لا ينفعك}

أي لا يجلب لك نفعاً ولا يدفع عنك ضراً، ولا يضرك بمنع خير عنك، ولا بإنزال شريك فإن فعلت بأن دعوت غير الله فإنك إذاً من الظالمين.

و(تَـدْعُ) الـدعاء هنـا العبـادة والضـراعة وهـذا معطـوف علـى (وَأَنْ أَقِـمْ وَجْهَـكَ لِلـدِّينِ حَنِيفًـا)، (مِـن دُونِ اللَّهِ)، أي غـير الله تعـالى وهـي الأوثـان والقبـور الـتي جعلتموهـا أنـدادا لله مسـتحقة للعبـادة، وقـد وصـفها سـبحانه بحقيقتهـا الثابتـة فقـال: (مَـا لا يَنفَعُـكَ وَلا يَضُـرُّكَ) أي أنهـا في ذاتهـا لا تنفعـه ولا تضـره، وجعـل الخطـاب بـالنفع والضـرر لمـن يـدعوها إشـارة إلى أنهـم تركـوا مـا ينفـع ويضـر إلى مـا لا ينفـع ولا يضـر، وذكـر هـذه الحقيقـة فيـه تعليـل للنهـي عـن عبادتها، لأنـه إنمـا يعبـد الجـدير بالعبـادة ويـوفي الشـكر لمـن ينفـع ويخشـى عذابـه، أمـا الأوثـان فـلا نفـع فيهـا يرتجـى ولا ضـرر منهـا يُتقـى. إن عبـادة الأوثـان واتخاذهـا أنـدادا للّه تعـالى والشـرك بـه سـبحانه، ظلـم بـين، ولـذا قـال تعـالى: (فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ)

وفي ذلـك تعـريض لطيـف وإيمـاء إلى أن مثـل هـذا الـدين لا يشـكّ فيـه، وإنمـا ينبغـي أن تشـكّوا فيمـا أنـتم عليـه مـن عبـادة الأصـنام الـتي لا تعقـل ولا تضـر ولا تنفـع، إذ عبـادة الخـالق لا يسـتنكرها ذو والفطـرة السـليمة، أمـا عبـادة الأصنام فيستنكرها كل ذى لبّ وعقل سليم.

والمـدعو إمـا أن يُطلـب منـه جلـب خـير، وإمـا أن يطلـب منـه دفـع ضـرر، وهـذا إنمـا يختـص بـالله سـبحانه وتعـالى، فإنـه هـو الـذي يقـدر علـى دفـع الضـرر وجلـب الخـير، ودعـاء الأمـوات وأصـحاب القبـور والأصـنام والأوثـان والأشـجار والأحجـار، لا يجلـب خـيراً ولا يـدفع ضـرراً. وكـل مـا يُـدعى مـن دون الله فهـو بهـذه المثابـة، لا ينفـع ولا يضـر، لأنهـا إمـا أحجار جامدة، وإمّا صور وتماثيل، وإما قبور

هامدة، وإما أشجار، أو غير ذلك، فهي مخلوقات لا تقدر على جلب نفع ولا دفع ضرر، فالدعاء إنما يصلح أن يوجه لمن يقدر على ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى.

فمسكين هذا الذي يطلب الحوائج من المخلوق وظنَّ أن هذا المخلوق الذي لا يدفع عن نفسه شيئا يملك من أمره شيء وهو لا يسمع ولو سمع ما استجاب، لكن الشيطان تسويله وتزيينه وتلبيسه على الناس، وما أخبر به النبي –عليه الصلاة والسلام– واقع لا محالة وأنه يوجد من يعبد الأوثان من هذه الأمة، ومن قرأ بعض الكتب عند المتأخرين من متأخري المذاهب وجد عندهم العجب، دعوة غير الله الشرك الأكبر الواضح الصريح ويزعمون أنهم يتصرفون في العالم، وأنهم يقضون الحوائج وأنهم ويصفونهم بأوصاف ويطلبون منهم أشياء لا يقدرون عليها.

فالشرك في عبادة الله عام كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله.

والشـرك هـو أن يجعـل بينـه وبـين الله واسـطة، يـزعم أنـه ينقـل حوائجه إلى الله، كأن يقول لصاحب القبر: يا فلان، اشفع لي عند الله، يا رسول الله، اشفع لي، يسأله الشفاعة، جعل الرسول واسطة بينه وبين الله، هذا شرك؛ لأنه دعا غير الله.

ومن دعا غير الله فقد أشرك، تشمله النصوص التي فيها : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فمن جعل بينه وبين الله واسطة، سواء كان حيا أو ميتا؛ فإنه يكون مشركا، إنما الحي يُسأل في الشيء الذي يقدر عليه، تقول: يا فلان، أعني في إصلاح سيارتي، يا فلان، أقرضني مالا، يا فلان، أعِنّي في إصلاح مزرعتي.

أما أن تسأل الحي في أن يغفر لك ذنبك، هذا ما لا يملكه، أو ينجيك من النار، أو تسأله في أن يرزقك، أو ينصرك على عدوك، أو لا يحرمك دخول الجنة، هذا ما لا يستطيعه، فهذا شرك.

الفوائد :

1- تحريم الشرك ووجوب تركه وترك أهله..

2-دعاء غير الله مهما كان المدعو شرك محرم فلا يحل أبداً، وإن سموه توسلاً.

3-لا يؤمن عبد حتى يوقن أن ما أراده الله له من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله بحال من الأحوال.

4-«الظالم» الذي يضع الشيء في غير موضعه.

5- الشرك وضع للعبادة في غير مستحقها، فلذلك صار أعظم أنواع الظلم.

6- من جعل بينه وبين الله وسائط فقد أشرك؛ لأنه صرف العبادة لغير الله.

7- الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

8- الشرك يسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

9- الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}]2).[

10- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال الله عز وجل: {وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}]3)[، وقال تعالى: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}]4).[

11- الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار"

12- الشرك هو السبب الأعظم في نيل غضب الله وعقابه، والبعد عن رحمته نعوذ بالله من كل ما يغضبه.

13- الشرك يطفئ نور الفطرة؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيده وطاعته.

14- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز لهم موالاته ولو كان أقرب قريب.

15- الشرك الأصغر ينقص الإيمان، وهو من وسائل الشرك الأكبر.

16- الشرك الخفي وهو شرك الرياء والعمل لأجل الدنيا يحبط العمل الذي قارنه، وهو أخوف من المسيح الدجال؛ لعظم خفائه، وخطره على أمة محمد صلّى الله عليه وسلّم.

17-إن من يدعو غير الله ليس له جزاء إلا النار إن مات على ذلك.

18-ان الدعاء عبادة ، لقوله عليه الصلاة والسلام (الدعاء هو العبادة) كما عند الترمذي ، ولقوله تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }غافر60، عن عبادتي: يعني عن دعائي.

19- أن دعوة غير الله عز وجل لا تنفع ، وأن ترك دعائه لا يضر ، بمعنى أنك لو دعوت غير الله ما نفعك ولو تركت دعاء غير الله لم يضرك.

20- الظالمون هم المشركون، إذا أطلق الظلم فهو الشرك، كما قال عز وجل{ :إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }]لقمان: 13]، وهكذا الطواف بالقبور، إذا طاف يتقرب بذلك إلى صاحب القبر فهو مثل إذا دعا واستغاث به يكون شركاً أكبر، أما إذا طاف يحسب أن الطواف بالقبور قربة إلى الله قصده التقرب إلى الله، كما يطوف الناس بالكعبة ليتقرب إلى الله بذلك وليس يقصد الميت، فهذا من البدع ومن وسائل الشرك المحرمة والخطيرة، ولكن الغالب على من طاف بالقبور أنه يتقرب إلى أهلها بالطواف ويريد الثواب منهم والشفاعة منهم، وهذا شرك أكبر نسأل الله العافية كالدعاء.

والله اعلم ....وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ

سلسلة تفسير القران العظيم الإصدار رقم (65)

فوائد من سورة يونس الآية 106

تهدى ولا تباع

ولا تنسونا من صالح دعائكم

اعدها عزمي إبراهيم عزيز